أم مارية الأثرية
د. آلاء ممدوح محمود
ليدبروا آياته

وبعد أن بينت الآيات النعم الحسية على العرب ذكرتهم بالنعم المعنوية من بناء البيت:

{وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}

جاء التذكير بصيغة المضارع (يرفع) الدال على الإستمرار، ليستحضر القاريء والسامع صورة البناء ويتمثلها أمامه، فنرى إبراهيم يرفع الأساس وإسماعيل يعاونه، وكانا يتضرعان إلى الله أن يتقبل الله صالح أعمالهما، فهو السميع لكلامهما العليم بأحوالهما، وهذا مشهد عظيم يصل حاضر الأمة بماضيها.

هداية وتدبر

"وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ"	"فبهداهم_اقتده "، إشراك الابن في المشروع الخيري والدعوي ولو بشيء يسير له آثاره الحميدة.
رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا	جاء بهذا الاسم الكريم "الرب" لما فيه من التلطف والاستعطاف؛ لأن من معاني الربوبية العطاء، والقبول، والإستجابة.
	اذا دعا شخص وأمن معه غيره فالدعاء منهما ولهما، كما حصل من إبراهيم وإسماعيل.
	الحرص على قبول العمل أكثر من العمل ذاته، فلا فائدة من العمل إذ لم يتقبل عند الله.

	ولننظر إلى حالنا وحال إبراهيم فالبعض منا عندما يمن الله عليه بفعل الصالحات يظن أنه ضمن القبول، فإذا صام يوم عرفة وهو يكفر سنة ماضية وسنه مستقبلة، يقول لماذا أصوم يوم عاشوراء وهو يكفر سنة ماضية فقط، يوم عرفة يغني عنه؟!، وقد ضمن أن الله قبل منه. قال تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ [سورة المؤمنون:60] قالت عائشة: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال النبي: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون أن لا تقبل منهم. *قال ابن مسعود: "وددت أني نسبت إلى روثة، وأن الله تقبل حسنة واحدة من عملي". قال فضالة بن عبيد: لأن أكون أعلم أن الله تقبل حسنة واحدة من عملي خير من الدنيا وما فيها، لأن الله يقول: "إنما يتقبل الله من المتقين". ولهذا جاء في الحديث: «رب صائم حظه من صيامه الجوع، والظمأ؛ ورب قائم حظه من قيامه السهر
	كلما كان العبد أعرف بربه كان ذلك أدعى إلى انكساره وخضوعه لله وتواضعه للناس، وإذا تعاظم جهله ظهرت عليه أمارات العُجب والكِبر والتعالي.
	{تَقَبَّلْ مِنَّا} يُشعر بالاعتراف بالتقصير، فالعبد ضعيف مهما اجتهد، فإذا نظر إلى فضل الله عليه ونِعمه؛ فإنه يتوسل إلى الله بالقبول. ولذلك نحن بعد الحج نستغفر، وبعد الصلاة نستغفر، وبعد قيام الليل نستغفر {وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ}[سورة آل عمران:17] فإذا إذا كان الاستغفار بعد هذه الأعمال والعبادات العظيمة، فبعد

	المعاصي والذنوب من باب أولى.
إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ	لقوة يقينهما بسمعه -تبارك وتعالى- أنه يسمع، وأنه يعلم الحال، ومن يتيقن أن ربه يسمع ويرى؛ فإنه يعمل بانشراح ونشاط كما يدل على كمال الصدق والإخلاص، يعني: لو كان الإنسان يقوم في قلبه شيء آخر من الرياء والسمعة سيقول يا رب أنت سميع عليم تعلم الحال، وما في البال!!

{رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ}

ثم أكد ارتباط البيت بالإسلام، فدعو الله أن يثبتهم على الإسلام، وأن يجعلهم منقادين لأحكام الإسلام، وأن يجعل الخير باقٍ في الذرية فهم أولى الناس بالدعوة {ياأيها الذين ءامنوا قوا أنفسكم واهليكم نارًا} التحريم 6، وأن يعلمهم الله المناسك والشرائع كأنهم يرونها، فإننا مع كل هذا لا غنى لنا عن رحمتك فنتضرع اليك ياالله بالتوبة من التقصير، وهذا فيه تعليم الناس أن هذا مكان التوبة والدعاء بالمغفرة، ثم عللا رجاءهما في قبول التوبة بأن الله هو عظيم التوبة، واسع الرحمة بعباده.

هداية وتدبر

وَاجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ	الإنسان مفتقر إلى تثبيت الله؛ وإلا هلك؛ فإنهما مسلمان بلا شك: فهما نبيَّان؛ ولكن لا يدوم هذا الإسلام إلا بتوفيق الله؛ قال الله سبحانه وتعالى للرسول صلى الله عليه وسلم: {ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا * إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات}

	[الإسراء: 74، 75]
وَمِنْ ذُرِّيَّتِنا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ	ينبغي للإنسان أن يشمل ذريته في الدعاء؛ لأن الذرية الصالحة من آثار الإنسان الصالحة؛ وقال إبراهيم صلى الله عليه وسلم في آية أخرى: {واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام} ؛فالذرية صلاحها لها شأن كبير بالنسبة للإنسان، فليست القضية بأن يُرزق الأولاد، وإنما ذرية طيبة. *اللبيب الأريب من تعلم من إبراهيم ودعا لنفسه ولذريته.
وَأَرِنا مَناسِكَنا	تحريم التعبد لله بما لم يشرعه؛ لأنهما دعَوَا الله عزّ وجلّ أن يريهما مناسكهما؛ فلولا أن العبادة تتوقف على ذلك لتَعبدا بدون هذا السؤال
وَتُبْ عَلَيْنا	لا يخلو الإنسان من تقصير وضعف وفتور ولا بد أن يقع شيء من الخلل في عمله، وربما الغفلة والإساءة، فيحتاج دائمًا إلى التوبة ولهذا نستغفر بعد الصلاة ثلاثًا.

{رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}

ثم دعا بإتمام النعمة على العرب بأن يجعل فيهم رسولًا منهم أعرف بحالهم، وينالهم الشرف به، ويقوم بثلاثة مهام:		
الأولى: تلاوة آيات الله الكونية والشرعية عليهم.	**الثانية**: يعلمهم الكتاب تلاوة ومعنى، ويفقههم في أحكامه.	**الثالثة**: تطهيرهم من الشرك ورديء الأخلاق، وهي ثمرة الأوليين وشرط قبولهم لذا قال النبي: "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

هداية وتدبر

رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ	*الهم الذي كان يحمله إبراهيم مما يتصل بهداية الخلق والذرية، فلم يقتصر بالدعاء لنفسه، أو الدعاء لولده وزوجه، وإنما دعا لذرية هؤلاء. *التفاؤل، ونبذ اليأس والقنوط. فدعوة إبراهيم تحققت بعد الاف السنين ببعث محمد فهو الرسول الوحيد من ولد إسماعيل.
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ	ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم يزكي الأخلاق، ويطهرها من كل رذيلة، كما قال صلى الله عليه وسلم «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» الشيخ عبد الرحمن السعدي –رحمه الله: أنّ هذه الآية الوحيدة التي جمعت بين حفظ القرآن (حفظ الألفاظ) والفهم يعني:

	التلاوة والفهم، والعمل به {يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ [سورة البقرة:129] لفظًا وحفظًا وتحفيظًا.

وبعد هذا العرض لسيرة الخليل إبراهيم تأتي النتيجة القرءانية:

{وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ}

مَن مِن العقلاء يربأ بنفسه أن يتبع مله إبراهيم؟

لايفعل ذلك إلا من امتهن نفسه وأراد هلاكها، لأن الله رفع درجته في الدنيا والآخرة.

في الدنيا: جعله الله صفوة الأنبياء والمرسلين. عن أنس قال: جاء رجل إلى النبي فقال له ياخير البرية فقال: "ذاك إبراهيم".

في الآخرة: من جملة أهل الصلاح والطاعة.

ذكر الله تعالى الاصطفاء في الدنيا، والصلاح في الآخرة؛ فما الفائدة؟

الجواب: أن الدنيا دار شهوات، وابتلاء؛ فلا يصبر عن هذه الشهوات، ولا على هذا الابتلاء إلا من أخلص نفسه لله فصار صفوة من عباد الله.

أما الآخرة حتى الكفار يؤمنون؛ ولكن الفرق بين من يكون من الصالحين، وغير الصالحين؛ لأنهم إذا عرضوا على النار قيل لهم: {أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا}

هداية وتدبر

- **{ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ }**

ليس هناك أعظم سفهًا من ذاك الذي ضيع سبب السعادة الدنيوية والأخروية، واختار الطريق المظلمة والمهلكة التي تُؤدي به إلى الشقاء في الدنيا وفي الآخرة

مهما كان عند الكفار من الاكتشافات والمخترعات، والصناعات، ومهما كان عندهم من التطور المادي والعمران، فإن هؤلاء يبقون في النهاية سفهاء، وينبغي أن يكون التعامل معهم، والنظر إليهم بهذا الاعتبار أنهم سفهاء بنص القرآن، ومن هنا فإن المؤمن لا يمكن أن يغتر بهؤلاء، وما أوتوا، فإذا ذهب إلى بلادهم، ورأى مظاهر هذه الحضارة المادية، وهذه العلوم التجريبية التي توصلوا إليها، فإنه مُباشرة يتذكر هذه المعاني: أن هؤلاء ما عرفوا أهم المهمات، وأعظم الأمور والأمر الذي وجدوا في هذه الحياة من أجله، وهو عبادة الله -تبارك وتعالى- وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ

{إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (131) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}

وكان هذا الإصطفاء لإبراهيم وقت أن قال له الله أسلم، فأجاب على الفور: استسلم لله رب العالمين، ولم يكتفِ بالفضل لنفسه بل وصى بها بنيه من بعده، وكذلك وصى بها يعقوب.

هداية: أعظم هداية ومنة هي الإسلام والثبات عليه حتى الممات.

لابد للإنسان أن يكون شغله الشاغل مع أولاده صلاحهم وهدايتهم للطريق المستقيم،{كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته}، وليس الأمر على إدخار الأموال وجمعها وترك تربيتهم التربية السليمة.